**آثار الحسبة السياسية تجاه المحكوم: زيادة الوعي السياسي لأفراد المجتمع**

**تقديم: د. مجدي عبد العظيم إبراهيم**

إن الحسبة السياسية وتطبيقها تنطلق من قاعدة عظيمة وهي أصل من أصول الدين ألا وهي الأمر بكل ما هو معروف والإنتهاء عن كل ما هو منكر، وبهذه القاعدة الشرعية كان الأساس في بناء المجتمع الإسلامي وإدارته وتنظيمه في جميع مناحي الحياة.

فالدين الإسلامي بقواعده وأحكامه كان الإطار العام الذي ينظم بداخله كل معطيات ومستلزمات الحياة لكل من الرعية وهم أساس المجتمع وبنائه والراعي باعتباره المسؤول والمنفذ لكل السياسات التي توجه لخدمة هؤلاء الرعية وفق إطار الشرع الحنيف، والدولة التي هي بمثابة الكيان الاعتباري الممثل لهيبة الدين الإسلامي. فكانت الحسبة السياسية لها أثر تجاه الراعي والرعية والدولة، وما يهمنا في هذا المقام هو أثر الحسبة السياسية تجاه الرعية أو المحكومين.

فإن أثر ممارسة الحسبة السياسية يوجد الوعي السياسي لدى أفراد المجتمع مما يعني ذلك إدراكهم لمشكلاتهم ومواطن الضعف وعلاجها ومعرفتهم بالقوى الفاعلة والمؤثرة في إتخاذ القرار والتفاعل معها من أجل رعاية الأمة ومصالح أفرادها، ودفع كل المفاسد والمنكرات عنها.

فزيادة مؤشر الوعي السياسي لدى المجتمع يتيح له ملاحقة التغيرات والتطورات التي تجري على الساحة السياسية ومعرفة التداعيات التي من الممكن أن تترتب بناء على كل التغيرات السياسية التي تحدث من حوله وكيفية مواجهتها وحماية دينه ومجتمعه وهويته من أي تغييرات أو تأثيرات تمس دينه وعقيدته، وبل وتتيح له إتخاذ خطوات مسبقة في مواجهة أي تداعيات يكون لها أثر سلبي عليه.

وهذا يستلزم الاهتمام بوضع مناهج لإعداد الكوادر الإسلامية الواعية وخاصة كادر الشباب لأنهم مستقبل الأمة وتوفير برامج ذو طبيعة سياسية تؤهل فرص للتدريب والتطوير، وعقد الدورات والندوات التي تزيد وتصقل هذا الوعي بما يخدم صالح الدين ويعمق أثره في النفوس.

فلابد أن يكون للفرد أو الأمة دور في مواجهة كل المفاسد والمنكرات التي تقع في حق الأمة ومواجهتها وعدم الاكتفاء بأي تصرفات أو ردود أفعال سلبية وعدم القيام بأي دور أو واجب تجاه حفظ وصيانة هذا الدين، وإلا فكيف سيقام شرع الله ويطبق دون أن يكون هناك خطوات وجهود لإقامته وتطبيقه والحفاظ عليه.

فامتداد الحسبة السياسية إلى غمار الحياة وتطبيقها يعد أمثل تطبيق لما أوصانا به الدين الإسلامي، فلم تكن قواعده وأحكامه التي فرضها الله سبحانه وتعالى لمجرد التناصح فقط بل هي أيضًا لحكم وتنظيم مجالات الحياة عامة في شؤون الدولة والعباد بما يكفل حفظ وإعلاء شأن هذا الدين.

مما يتطلب دورًا هامًا من قبل أفراد هذه الأمة في ممارسة جميع الحقوق المكفولة لهم في تأكيد كل ما هو معروف وإنكار كل ما هو منكر وجاء النص عليها في كتاب الله العزيز وسنه نبيه الكريم في السؤال والمراقبة والتحقيق في كل ما هو من شأنه فيه مساس بتعاليم وقواعد هذا الدين، فقد ورد في كتاب الله: (ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ)([[1]](#footnote-1)) .

كذلك ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان"([[2]](#footnote-2))، وقوله صلى الله عليه وسلم: "إنه يستعمل عليكم أمراء فتعرفون وتنكرون، فمن كره فقد برئ، ومن أنكر فقد سلم، ولكن من رضي وتابع"([[3]](#footnote-3)).

ويفهم من ذلك أنه هناك واجب يقع على عاتق الأمة ممثلاً في أفرادها بمواجهة كل المنكرات الواقعة وكيفية هذه المواجهة التي تتنافى مع سلوكيات النصح والإرشاد فقط أو التقاعس أو السلبية التي يتسم بها بعض أفراد المجتمع، مما ينتج عن ذلك زيادة الوعي وسقف التفكير لدى أفراد المجتمع بحجم مسؤوليتهم تجاه مجتمعهم ودينهم.

كذلك نجد أن هذا الأثر له انعكاس في غاية الأهمية فهو مرتبط ارتباط وثيق بتحقق أسمى مبادئ العدالة والمساواة وحفظ حقوق وكرامة الإنسان في وجود دولة تقوم على المؤسسات وليست دولة شخص أو حزب أو نظام، فتكون هناك المؤسسات التنفيذية والتشريعية والقضائية كل في مجاله يقف الشرع منها على مسافة واحدة، فلا تطغى سلطة على سلطة بوعي أفراد مجتمعها.

وعلى عكس ما سبق فإنه في ظل تهميش الحسبة السياسية وغياب الحكم الإسلامي وثوابته على أرض الواقع يظهر لنا غياب هذا الوعي وإدراك مدى الخطورة التي يتعرض لها المجتمع الإسلامي وتفشي المنكرات وظهور الفساد.

ولقد أشار إلى ذلك أكثر من مفكر إسلامي فمنهم من قال: "إن الفكر الإسلامي عند جمهرة المتدينين يتسم بالقصور البالغ، وإنهم يرون الفساد ولا يعرفون سببه، ويقرؤون التاريخ ولا يكشفون عبره ويقال لهم: كان لنا ماض عزيز فلا يعرفون سرّ هذه العزة، وانهزمنا في عصر كذا فلا يعرفون سبب هذه الكبوة"([[4]](#footnote-4)).

وقال آخر: " إن غياب الوعي السياسي يعني اضطراب وتعثر شؤون الناس، وهو حالة شبيهة بفقدان الوزن وانعدام الرؤية، ونتيجته ضياع مصالح المسلمين، وتفاقم وتعاظم المفاسد بينهم وحولهم، وبالتالي ضعفهم وانهيارهم وتعطل دورهم كأمة ظاهرة بين الأمم، آمرة بالمعروف، ناهية عن المنكر، شاهدة على الناس"([[5]](#footnote-5)).

هذا هو أثر الحسبة السياسية التي تربي وعي ونفسية الفرد في المجتمع وتهذب سلوكه وفق إطار الشرع بمعرفة حدوده وتجنب محارمه وفهم واجباته تجاه دينه ومجتمعه.

1. () سورة آل عمران، الآية: 110. [↑](#footnote-ref-1)
2. () النيسابوري مسلم ابن الحجاج ابن مسلم القشيري في صحيحه ، كتاب (49)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. [↑](#footnote-ref-2)
3. () النيسابوري مسلم ابن الحجاج ابن مسلم القشيري في صحيحه ، كتاب (1854) من حديث أم سلمة رضي الله عنها. [↑](#footnote-ref-3)
4. () مقال: محمد مختار عبد القادر، ضرورة الوعي السياسي للدعاة، نقلاً عن الشيخ محمد الغزالي رحمه الله. بتاريخ 28/2/2012، الساعة 10.00 مساء.

   <http://somaliatodaynet.com/news/index.php?option=com_content&task=view&id=3630&Itemid=29> [↑](#footnote-ref-4)
5. () مقال: فتحي يكن، أهمية الوعي السياسي في العمل الإسلامي، التاريخ 28/2/2013، الساعة 10.30مساء.

   <http://www.odabasham.net/show.php?sid=57736> [↑](#footnote-ref-5)